واقع تعليم اللغة العربية فى البلاد العربية

" الإشكالية والحل "

د.أكرم إبراهيم السيد قحوف

مقدمة:

لعل من أجل ما أنعم الله به على الإنسان، أنه علمه البيان، قال تعالى: **"خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ"** (الرحمن، آية ٣ – ٤)، وجعله قادراً على أن يفهم الآخرين، ويفهمهم عن طريق اللغة التى طوعها له، وأقدره عليها. فلغة الإنسان هى عالمه، وحدود لغة الإنسان هى حدود عالمه؛ فهى ولاءٌ وانتماء، وثقافة وهُوية، ووطن وشخصية.

وكما تسهم اللغة فى صياغة المجتمع، فإن المجتمع يسهم بدوره فى صياغتها وتطويرها؛ فالجماعة الناطقة باللغة هى التى تهبُ الألفاظ معانيها، وتشتق من المفردات ما يعبر عن مستحدثاتها ومراميها [١]؛ فاللغة وعاء الثقافة، والأداة الرئيسة فى مجتمع المعرفة؛ لذا تنتشر بقوة الأمة وتنحسر بضعفها.

وإذا كانت اللغة بحق هى وعى الأمة الحضارى ووسيلتها للرقى وبناء المستقبل؛ فإن اللغة العربية – خاصة – قد أثبتت تميزها وقدرتها الفائقة على التواصل الحضارى؛ فقد استوعبت بمرونة التراثين العربى والإسلامى، كما استوعبت ما نقل إليها من تراث الأمم والشعوب ذات الحضارات القديمة كالمصرية واليونانية والفارسية وغيرها، فنقلت للبشرية فى وقت ما أسس الحضارة وعوامل التقدم فى العلوم والفنون والآداب[٢] وقد تمكنت لغتنا من الصمود لأكثر من سبعة عشر قرناً لغة للعلم والتعليم والحضارة، وهى قادرة – ولاشك – على البقاء والاستمرار للمستقبل [٣].

واللغة العربية هى اللغة القومية لأكثر من مائتى مليون من الناطقين بها فى الوطن العربى وغيره، مما جعلها تحتل الترتيب الخامس على مستوى لغات العالم، من حيث عدد المتحدثين بها. وهى اللغة الرسمية لأكثر من (٢٢) دولة عربية؛ وتعد واحدة من اللغات الست للأمم المتحدة [٤]. فاللغة العربية أزلية؛ إذ نزل بها القرآن الكريم: "**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**" (الشورى، آية ٧)، وقد عبر العالم اللغوى الثعالبى تعبيراً دقيقاً عن قيمة اللغة العربية وفضلها إذا قال: **إن الله عز وجل لما شرَّف العربية، وعظمها، وكرمها، قيَّض لها حفظة وخزنة من خواص الناس وأعيانهم ٠٠** كدُوا فى **حصر لغاتها طباعهم، وأجالوا فى نظم قلائدها أفكارهم ٠٠٠** [٥].

إنها لغة فريدة. هذا ما دعا كريستين فيرجس Christine Fergus تقول، فى مجلة عالمية، ? What Makes Arabic Unique : إنها لغة جميلة. وغالباً ما أشعر بأننى فى حالة من الإعجاب والدهشة، بالرغم من دخولى العام الرابع لدراستها " [٦].

وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية فى شرفها، فهى الوسيلة التى اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية. وليست منزلتها الروحية هى وحدها التى تسمو بها على ما أودع فى سائر اللغات من قوة وبيان، وإنما فى قوتها الخاصة وقدرتها ومرونتها [٧].

لكن اللغة العربية تواجه أخطاراً تتزايد يوماً بعد يوم. فاللهجات الدارجة هى المستعملة فى الحياة اليومية فى كل البلاد العربية، واللغات الأجنبية تنافس اللغة العربية فى التعليم العالى، وفى النشاط الثقافى والفنى، وفى وسائل الاتصال المختلفة؛ مما يؤدى إلى إضعاف شخصية الطفل العربى ويهددها بالتمزق [٨].

وقد توصلت دراسة (محمد وجيه الصاوى، ١٩٩٢) [٩] إلى أن هناك عوامل ساعدت على ضعف الطلاب فى اللغة العربية من أهمها:

- انتشار اللهجات العامية، وقد ساعد فى ذلك استخدامها فى الحياة اليومية، كما يتشربها الصغير من بيئته. بالإضافة إلى ذلك، ما تسهم به وسائل الإعلام من نشر وبث لتلك اللهجات، وذلك عن طريق الأفلام، والبرامج، وغيرها.

- تأثير اللغة الأجنبية على اللغة العربية، ويتضح ذلك من خلال التعليم فى مدارس اللغات.
- التدريس باللغة العامية فى المدارس والجامعات.
- استخدام طرق وأساليب قديمة فى تدريس اللغة العربية.
- القصور فى إعداد معلم اللغة العربية ، ونظرة المجتمع الدونية إليه.
- عدم وجود ميل، أو اهتمام نحو دراسة اللغة العربية عند المتعلم، مما يدفعه إلى عدم الإقبال على تعلم اللغة العربية، وإهمالها. وعدم وجود رغبة فى القراءة والبحث فى فروعها المختلفة.

والمتأمل فى مناهج تعليم اللغة العربية فى المراحل التعليمية بصفة عامة، والمرحلة الابتدائية بصفة خاصة، يلمس تفاوتاً واضحاً بينها سواء فى تحديد الأهداف، أو فى اختيار المحتوى، أو فى تنظيمه، أو فى أساليب التقويم، أو فى الأنشطة المصاحبة التى من شأنها تنمية اللغة عند الأطفال [١٠].

فهل اللغة العربية فى أزمة ؟

أصبح الإحساس بأن اللغة العربية تواجه أزمة فى عصرنا الراهن مشكلة عامة بين الناس، حيث تعيش صراعاً قوياً مع عدة لغات ساعدت على وجوده عوامل كثيرة: خارجية فرضها الواقع المعاصر، وأخرى داخلية، من صنع أهلها يقومون بتغذيتها – شعروا أو لم يشعروا – من خلال وسائل وأساليب متعددة. وأكدت العديد من المؤتمرات والدراسات أن لهذه الأزمة أسباب كثيرة منها [١١]:

الازدواجية اللغوية (اللهجة واللغة)، وإغفال الاهتمام بحفظ القرآن الكريم، ونظم بعض المناهج الحالية، والتعامل مع فنون اللغة ومهاراتها برؤية منفصلة، والالتزام بطرائق تدريس تقليدية، والاعتماد على تعليم القواعد فى اكتساب اللغة، وليس التركيز على توظيف القواعد فى اللغة اليومية. وعمليات الفصل بين اللغة والثقافة، وتدعيم تعليم اللغات الأجنبية وتعلمها على حساب اللغة القومية. وإهمال استخدام الأساليب المعاصرة فى التقويم اللغوى، وضعف إعداد المعلمين وتأهيلهم، وشيوع الألفاظ الأجنبية فى المؤسسات واللوحات الإعلانية. ومن هنا أثر الإعلام تأثيراً سلبياً على لغة الطفل، وبالتالى إعاقة تنميتها. فضلاً

عن الضعف الواضح لدى التلاميذ، وتدنى مستوى إعداد المعلمين وتأهيلهم، بما يتناسب وعصر المعرفة.

- **مشكلة البحث:**

وبناءً على ما سبق تتحدد مشكلة البحث فى تدنى مستوى تعليم اللغة العربية واستخدامها وضعف الطلاب فيها.

لذا تحاول الورقة البحثية الحالية الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما واقع تعليم اللغة العربية فى البلاد العربية؟

٢- ما أهم المعوقات والمشكلات التى تواجه تعليم اللغة العربية فى البلاد العربية؟

٣- ما الحلول المقترحة للنهوض بمستوى تعليم اللغة العربية فى البلاد العربية؟

- **أهمية البحث:**

ترجع أهمية البحث لأهمية موضوعة، وقوة المشكلة التى يتصدى لها، ومدى اهتمام الرأى العام بها، بالإضافة إلى ما يتضمنه من حلول مقترحة تتسم بالواقعية والقابلية للتنفيذ؛ فضلاً عما تسهم به اللغة العربية فى الحفاظ على قوة الأمة وطموحات أبنائها، ولأن التعليم باللغة العربية يحتل المرتبة الأولى فى الحفاظ على هويتها وقوميتنا؛ فتتمثل أهمية البحث فيما يلى:

- غرس الاعتزاز باللغة العربية وحبها لدى المتعلمين بها.
- إجلاء وتشخيص المعوقات، والتحديات التى يتعرض لها تعليم اللغة العربية فى مجتمعنا العربى.
- إلقاء الضوء على مكانة اللغة العربية والاهتمام بتعليمها، ومحاولة تقديم بعض الحلول والمقترحات للنهوض بها والحفاظ عليها فى ظل الأزمة التى تعيشها.

وفيما يلى تتناول الورقة البحثية الحالية الإجابة عن الأسئلة السابقة بشىء من التفصيل:

أولاً : واقع تعليم اللغة العربية فى البلاد العربية:

كان من الضرورى أن نجيب على تساؤل مهم قبل أن نقرر واقع تعليم اللغة العربية فى البلاد العربية، ألا وهو: لماذا نهتم بلغتنا العربية ؟

إن اهتمامنا باللغة العربية ينبع من عقيدة دينية، ثم من عاطفة وطنية، وقيم حضارية وضرورات اجتماعية. فهى وعاء الفكر، ووسيلة الاتصال والتفاهم، ورابطة القومية. وهى اللسان المبين الذى حفظه الله بالذكر الحكيم، وهى الأداة الأساسية التى نستخدمها فى نقل مختلف العلوم والفنون والمعارف إلى الناشئة فى مراحل تعليمهم العام والجامعى، وهى كذلك أداة نشر الثقافة بأوسع معانيها، وتراثنا وحضارتنا عن طريق مختلف وسائل الإعلام، كما أنها الأداة التى يستخدمها الإنسان فى تثقيف نفسه بنفسه، وفى تعلمه الذاتى مدى الحياة (١٢).

والحديث عن اللغة العربية لا ينفصل عن الحديث عن الإحساس بالهُويَّة وبالمواطنة والشعور بالولاء، ذلك أن اللغة العربية تمثل الرابطة التى جعلت من العرب أمة متماسكة متراصة متوحدة التفكير والرغبات والمطامح، لذلك أصبحت كيانهم وهويتهم، كما أن اللغة العربية هى صانعة العقل العربى، أى العقل الجماعى للعرب، فمن الصعب أن تجد توحداً عقلياً دون وجود شكل من أشكال الاتصال الرمزى، هذا الشكل هو اللغة العربية عند العرب، وهل يمكن أن تكون هناك هوية دون عقل جماعى (١٣)، والعربية لغة الدين والشعائر الإسلامية فى كل أنحاء العالم الإسلامى. فإذا كانت الأمم المتحضرة تتمسك بلغتها، وتبذل قصارى جهدها للحفاظ على اللغة القومية، بل والعمل على نشرها بين أفراد الأمم الأخرى، فإن الأمة العربية ينبغى أن تكون أحرص الأمم على لغتها، وذلك للأسباب التالية:

هى اللغة التى كرمها الله، فاختارها لساناً لوحيه " **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** " (الشعراء: آية ١٩٥). " **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**" (الشورى: آية ٧). **"قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ"** (الزمر: آية ٢٨). ويقول بروكلمان: "بفضل القرآن بلغت اللغة العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أى لغة من لغات العالم".

- يتكلم باللغة العربية ١.٦ مليار مسلم؛ أى ما يزيد عن سدس سكان الكرة الأرضية.

- هى لغة عالمية؛ فهى السابعة فى العالم من حيث عدد المتحدثين بها. وعدت الأمم المتحدة العربية إحدى اللغات الرسمية سنة ١٩٧٣. وقد دخلت كلغة عمل دولية سنة ١٩٦٩ [١٤].
- انتشار المدارس التى تحرص على تعليم العربية لغةً ثانيةً فى كثير من بلدان العالم. ففى بريطانيا وحدها (٢٢) مدرسة إسلامية؛ لتعليم العربية والدين الإسلامى. وفى فرنسا (٢٣٣) مؤسسة تربوية تدرس اللغة العربية كلغة أولى وثانية وثالثة [١٥].
- اللغة العربية لغة العلوم فى العصور الوسطى؛ حيث نقلت ما أبدعه المسلمون فى الطبيعة والكيمياء، والفلك.
- اللغة العربية درع يحصن فيما يحصن الناطقين بها ضد خضم متلاطم تبدو فيه العولمة تياراً جارفاً يسعى لإذابة الثقافات فى مجراها لتبقى اللغة العربية كياناً تتأسس عليه وحدتنا العربية، حيث لم تشفع لها مقومات أخرى [١٦].

ومن هنا تبدو أهمية اللغة العربية، وأهمية تعلمها وتعليمها لا باعتبارها مادة دراسية مقررة فحسب، ولكن باعتبارها محوراً أساسياً فى بناء الإنسان بكل جوانبه، ومحوراً للعملية التعليمية فى كل مراحل التعليم، ومحوراً للنشاط الإنسانى فى المجتمع.

وفى ضوء أهمية اللغة الأم واللغة القومية وضرورة تعليمها وتعلمها والتعليم بها لجميع العلوم والمعارف لتحديث العقل العربى يتضح ضعف مناهج التعليم العام والجامعى عن ملاحقتها لفيض المعارف، وأنه على الرغم من محاولات التطوير الدائمة والمستمرة لهذه المناهج، فإنها فى واقع الأمر جهود تنحصر فى مجال: التقديم والتأخير، والحذف والزيادة، وإعادة توزيع مادة – اكتسبت صفة الثبات – على صفوف الدراسة، مستوعبة من نصاب المواد الدراسية حوالى ثلثه بالمرحلة الابتدائية من التعليم الأساسى، وحوالى سدسه بالمرحلة الإعدادية والتعليم الثانوى، وذلك عدا نصاب التربية الدينية [١٧] وبمراجعة المادة التعليمية أو أساليب التعليم ومنهجياته فى تعليم اللغة العربية تواجه أوجه قصور عدة على النحو التالى:

- التركيز على الجوانب الصورية، سواء فى تعليم النحو أو الصرف أو تنمية مهارات الخطابة والحوار؛ حيث طغت سطحية قراءة النصوص، وضبط أواخر الكلمات على حساب عمق اللغة واستيعابها والربط بين جملها وفقراتها [١٨].
- إهمال الجانب الوظيفى لاستخدام اللغة وعدم تنمية المهارات اللغوية المطلوبة فى الحياة العملية [١٩].

كما يتعرض التعليم العالى والجامعى فى مصر – على سبيل المثال – لدرجة عالية من تهميش اللغة العربية، ترجع لعدد من العوامل منها: استخدام لغات غير العربية فى التعليم فى الكليات العلمية المهمة كالطب، واستحداث أقسام للتعليم باللغات الأجنبية فى الكليات النظرية التى لغة التعليم فيها الأساس هى اللغة العربية، هذا فضلاً عن إنشاء الكثير من الجامعات الخاصة والتى بلغت حتى الآن (٩) جامعات خاصة بما فيها الجامعة الفرنسية والألمانية والأمريكية والبريطانية، تعمل على تدعيم لغتها القومية بدلاً من اللغة العربية فتخرج جيل من أبنائنا يشعر بالفخر والتأييد إن لم يكن الولاء لقوميات أخرى؛ فالتعليم بلغات أخرى على مستوى التعليم العالى يعطل مفاتيح الفكر إلى حد كبير، ويضعف الرابطة العضوية بين أبناء الوطن العربى وبين حضارتهم العربية الإسلامية " [٢٠].

ويشير رشدى طعيمة (٢٠٠٥) [٢١] إلى أنه قد ورد فى تقرير التنمية الإنسانية العربية أهم مظاهر أزمة تعليم اللغة العربية كما يلى:

" أما تعليم اللغة العربية فيشكو هو أيضاً أزمة حادة فى محتوى المادة التعليمية، وفى مناهج التدريس على حد سواء، ولعل من أبرز أعراض هذه الأزمة:

- التركيز على الجوانب الصورية فى تعليم النحو الصرف.
- عدم النفاذ إلى مضامين النصوص العميقة والكشف عن بناها.
- عدم الاهتمام بوجه الدلالة اللغوية والمعنى.
- الاقتصار على جانب الكتابة دون القراءة فى تنمية القدرات الإبداعية.
- عزوف الصغار والكبار عن استخدام معاجم اللغة لصعوبة مقاربتها أو لخلطها بين القديم والجديد دون تمييز.

- قصور البحث اللغوى التربوى فى تعليم اللغة، وفى تحديد الأسس المنهجية لتعليمها.
- إن اللغة العربية الفصحى ليست لغة التعبير الحار العفوى والانفعالات والمشاعر والتخاطب اليومى واكتشاف الذات والمحيط.
- الغالب على المنهج الذى تسلكه المدرسة العربية فى تعليم اللغة هو الحفاظ لاكتساب معارف متجددة حية.

إن الواقع الراهن لتعليم اللغة العربية يشير إلى تراجعها فى البيت، والمدرسة، والجامعة، والشارع، والمؤسسات الرسمية، فاللغة العربية تواجه الآن تحديات خطيرة ومعوقات كثيرة، يجب التصدى لها، وهو ما ستعرض له الورقة البحثية الحالية فيما يلى:

ثانياً : معوقات تعليم اللغة فى البلاد العربية:

تواجه اللغة العربية وتعليمها فى الوطن العربى، وفى المؤسسات التعليمية التى أنشئت من أجل المحافظة عليها والنهوض بها مشكلات وصعوبات كثيرة؛ مما يجعلنا نردد مع شاعر النيل حافظ إبراهيم متحدثاً بلسانها، ورافعاً شكواها:

أنا البحر فى أحشائه الدر كامنٌ فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتى

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسنىوفيكم وإن عز الدواء أساتى

فلا تكلونى إلى الزمان فإننى أخاف عليكم أن تحين وفاتى

ويمكن أن نوجز المشكلات والصعوبات التى تواجه اللغة العربية فيما يلى:

١- معلم اللغة العربية:

هو دعامة كبرى، وركيزة ثابتة فى التعليم، وسيظل كذلك على الرغم من تقديم الوسائل التكنولوجية الحديثة، واستخدام المواد التعليمية المبرمجة فى تعليم اللغة. ومن الحقائق التى لا تقبل الشك أن كل ما نعده من مناهج، وما نختاره من مقررات الدراسة والتعليم يصبح عدم النفع إذا لم يكن لدينا المعد إعداداً سليماً.

فلننظر بعين الحقيقة المجردة إلى وسائل إعداد هذا المعلم [٢٢]:

- أن هناك مؤسسات تتمثل فى الكليات التى تعده، وهى مختلفة فى المناهج، والاتجاهات، والأصالة والمعاصرة، والاهتمامات باللغة وآدابها.

- الطلاب الذين يتقدمون إلى أقسام اللغة العربية أقل مجموعاً من غيرهم فى الأقسام والكليات الأخرى.

ولو بحثنا إعداد معلم اللغة العربية بكليات التربية نجد أن:

- الطالب مشتت بين المواد التربوية والمواد الأكاديمية، فكم من المواد الدراسية والكتب التربوية والأكاديمية؛ مما يؤدى إلى ضعف المعلم أكاديمياً.
- التدريب العملى لهؤلاء الطلاب لا يحقق أهدافه المرجوة لأسباب منها:

  - يتم أحياناً توزيع مجموعات كبيرة من الطلاب على مدارس محددة الفصول لا تحتمل هذه الأعداد؛ مما يؤدى إلى قصر عملية التدريس على القليل من هؤلاء الطلاب وحرمان الآخرين.
  - حتى لو كان عدد المجموعات مناسباً، فلا يمارس الطالب عملية التدريس سوى مرتين أو ثلاث على الأكثر طوال العام.

- بعض المدارس لا تسمح للمتدربين إلا بحصة أو حصتين فقط فى يوم التدريب، وتعتبر يوم التدريب مضيعة للوقت لا يأتى الثمرة المرجوة منه.
- تهاون كثير من المشرفين الفنيين على هؤلاء الطلاب فى متابعتهم وتوجيههم وتقويم أدائهم.

إن القصور فى إعداد المعلم قبل قيامه بدوره فى الميدان يؤدى إلى مزيد من الإضرار بالتعليم وبالمجتمع، وبالإضافة ما سبق فإن المؤتمرات والندوات التى تهتم بإعداد المعلم فى أثناء الخدمة ليست إلا نقل للعناوين والاقتباس من القديم إلى الجديد تحت مسمى التطوير، ولو بحثنا عن العائد الفعلى لهذه المؤتمرات والندوات، فلا شيء ، ويبقى الواقع كما هو " معلم ناقص الإعداد علمياً ومهنياً " (٢٣).

٢- الصراع بين الفصحى والعامية:

وهذا الصراع يمثل مشكلة فى تعليم اللغة العربية؛ فالعامية لغة البيت والمدرسة بعيداً عن حجرات الدراسة أو فى داخلها، والشارع، والتعامل بين الناس، ولغة بعض البرامج التى

تستهوى الناس سواء فى الإذاعة المسموعة أم فى الإذاعة المسموعة والمرئية. وتحتل مساحة كبرى من الحياة، وإذا كانت العامية بلغة أخرى بعيدة عن اللغة العربية كان الخطرأشد [٢٤] .

إن من أهم مواطن الخلل ما تشهده اللغة العربية من ازدواجية تمكنت منا فى مختلف مجالات الاتصال اللغوى، وذلك بمزاحمة العامية للغة العربية الفصحى[٢٥].

ويقتضى هذا أن للازدواج اللغوى أو التفتت اللغوى خطراً على الكيان اللغوى ولابد أن ندير ظهورنا إلى اللهجات إنها لا تصلح بدايات ولا مرتكزات ، وما قد تمدنا به أحياناً لا يسمح لنا بأن نتوجه إليها. وتعاملنا معها يجب أن يكون على أساس الارتداد بها إلى أصولها، والعمل على مواجهة هذه الحركة الانحرافية بحركة تصحيحية مماثلة ولكنها مغايرة لها ومعاكسة فى الأهداف [٢٦].

٣- الصراع بين العربية واللغات الأجنبية:

ابتليت الشعوب العربية فى بعض الظروف والأوقات بالاستعمار، وحمل الاستعمار إليها فكره، ولغته، ومنهجه فى الحياة. وانبهر كثير من المواطنين به فقلدوه فى منطقه ولغته؛ رغبةً فى التمدين والتحضر، ومسايرة لمبدأ التبعية للغالب، وساعد على ذلك تشجيع الاستعمار لغته، ووضع الصعوبات أمام اللغة العربية والحريصين على تعلمها.

وقد أدى ذلك إلى وجود ما يسمى " الثنائية اللغوية " لدى بعض أو كثير من المثقفين. وذلك بمزج حديثهم العربى بلغة أجنبية، وذلك فى المحادثات العادية بين الناس، وفى كثير من أشكال الخطاب الشفهى والمكتوب [٢٧].

إن الثنائية اللغوية الأكثر هيمنة تتمثل فى الصراع بين اللغة الأم واللغة الوافدة، بين لغة تدفع عنها الاحتواء لصون كينونتها من التلاشى، ولغة قادمة بكل سطوتها وسلطتها الاقتصادية وهيمنتها الدولية لإشاعة نموذج ثقافى واحد يتوسل فيه بلغة ذلك النموذج أو بلغاته [٢٨].

وتشير ليلى كرم الدين (٢٠٠٧) [٢٩] أن الصعيد الأعظم من مدارس اللغات والمدارس الأجنبية الموجودة فى مختلف الدول العربية تقوم بإدخال اللغات الأجنبية للأطفال العرب خلال المراحل المبكرة من أعمارهم، ودون تحقيق الحد الأدنى من إتقانهم للغة العربية. كما لوحظ أن كثيراً من هذه المدارس تدخل لغة أجنبية على الأقل خلال مرحلة رياض الأطفال، وتدخل لغة أجنبية ثانية، وربما ثالثة خلال المرحلة الابتدائية، بل إن الصعيد الأعظم من هذه المدارس يقوم بتعليم الأطفال العرب لمختلف المواد الدراسية باللغة الأجنبية. وأخيراً كشف الاطلاع على ما يتم فيما يُطْلق عليه " بالمدارس الأجنبية " فى كثير من الدول العربية عن عدم تعليم الأطفال العرب بهذه المدارس اللغة العربية حتى كلغة ثانية.

وما دللت عليه مختلف الدراسات والبحوث العلمية، وقدمته من أدلة علمية ونتائج موثوق بها من احتمالات ترتب آثار سلبية عديدة على تعليم الأطفال للغات الأجنبية، وبشكل خاص تعليمهم لهذه اللغات خلال مرحلة رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية، وقبل إتقانهم للحد الأدنى المطلوب من لغة الأم Mother Tongue وتعليمهم بلغة أجنبية [٣٠].

لقد كان من توصيات مؤتمر " التربية المبكرة للطفل العربى وتحديات مجتمع المعرفة: ضرورة إيلاء اهتمام كبير بتعليم الأطفال العرب بهذه المرحلة للغة العربية، والحرص على تعليمهم اللغة العربية الفصحى الميسرة، والاعتماد عليها كوسيط للتعليم أى التعليم باللغة العربية. كما أكدت توصيات هذا المؤتمر أنه عند إدخال اللغات الأجنبية يجب الحرص الشديد على عدم إدخالها إلا بعد أن يجيد الطفل العربى تعلم اللغة العربية [٣١].

إن تعلم اللغات الأجنبية ضرورة من ضروريات الحياة الفكرية والثقافية والعلمية، ولكن لا يكون على حساب لغتنا العربية لغة الإسلام. أما أن نتفوق فى اللغات الأجنبية ونتخلف فى لغتنا العربية فهذا ما لا يرتضيه عقل، ولا يقبله منطق.

٤- المقررات الدراسية المختارة فى اللغة العربية:

وهذه المقررات الدراسية تحتاج إلى تقويم دائم فى اختيارها حتى تؤدى دورها. وهناك ملحوظات عامة على المقررات تتمثل فيما يلى:

- ازدحام المنهج على صورة لا تتيح الإفادة من القراءة الحرة كما يجب.
- بعض كتب القراءة تفتقر إلى التدرج اللغوى والتخطيط العلمى السليم لها حتى ينتقل التعليم فيها انتقالاً طبيعياً من خطوة إلى الخطوة التى تليها.
- اضطراب المستوى اللغوى بين كتب المواد الدراسية المختلفة .
- الاهتمام بالجانب المعرفى أكثر من الجانب التطبيقى فى التعبير اللغوى والقواعد النحوية والصرفية.

٥- وسائل الإعلام:

لاشك أن وسائل الإعلام لها دور سلبى، فى الوقت الحالى، على اللغة العربية. فمن حيث المضمون الذى يبثه التليفزيون فى صورة مسلسلات، وأفلام وإعلانات وغيرها من المواد التى تذاع أكثرها باللهجة العامية. جعلت الشباب والصغار يرددون ما يقال فى هذه البرامج، وهبط مستوى اللغة العربية فى الأغانى التى تبث عبر الإذاعة، وكذلك أخطاء الصحافة، وما تسهم به فى نشر العامية [٣٢] .

وإذا كانت هناك جهود جيدة فى مجال اللغة الفصحى عبر الفضائيات، من حيث تقديم الرسوم المتحركة للأطفال بهذه اللغة، حيث بدأت قنوات فضائية مرحلة متقدمة من التثقيف الإعلامى للغة الطفل الفصحى من اهتمامها بالبرامج الوثائقية والحوارية باللغة العربية الفصحى، جنباً إلى جنب مع الرسوم المتحركة فصيحة اللسان العربى، إلا أنه من الضرورى فرض نوع من الرقابة اللغوية على المنتجات الثقافية المصورة والمذاعة والمطبوعة لطفل الغربى؛ دعماً للغة العربية الفصحى، ودعم ما يرعى هذه اللغة فيما يقدم للطفل العربى، فضلاً عن إنشاء مسابقات للقراءة والكتابة بالفصحى من خلال وسائل الإعلام على مستوى الدول العربية لتشجيع الأطفال على النطق والكتابة بها، والاستماع إليها [٣٣].

٦- انتشار الأسماء الأجنبية واستخدامها فى أسماء المحال التجارية، ومحال المهن والحرف، ومحال التصوير والفنون، والفنادق، والمقاهى والمطاعم، والمنتجات الوطنية على اختلافها، والشركات العربية على تنوعها، والشوارع والميادين فى المدن الكبرى، وغير ذلك، حتى أصبح من النادر أن تعثر على لافتة مكتوبة باسم أو عنوان عربى فى

أسواق بعض البلاد العربية، ومكاتبها، وهو مظهر من مظاهر الغزو الثقافى الأجنبى، يعلن عن نفسه فى لافتات مكتوبة بأسماء أجنبية بالخط العربى العريض.

٧- استخدام الألفاظ الأجنبية وتداولها وشيوعها بين الناس بدلاً من الألفاظ العربية مثل "الأجندة" بدلاً من "المفكرة" "وبروجرام" بدلاً من "برنامج" و "البلكون" بدلاً من "الشرفة" و "اللمبة" بدلاً من "المصباح" و "الأوفرتايم" بدلاً من "الأجر" و "الأوتوبيس" بدلاً من "الحافلة" و "مول" بدلاً من "مجمع تجارى" وهكذا ٠٠٠

وبالإضافة إلى المشكلات والمعوقات السابق ذكرها ، فهناك مشكلات أخرى تعانى منها اللغة العربية فى عصرنا الحاضر [٣٤]:

أ – تدنى مكانة مادة اللغة العربية بين المواد الدراسية المختلفة، ويظهر ذلك فى قيام كثير من المؤسسات التعليمية بتطوير تدريس اللغات الأجنبية عدا اللغة العربية، كما يظهر أيضاً فى نظرة الطلاب إلى مادة اللغة العربية وإهمالهم لها.

ب – إهمال النشاط المدرسى المصاحب للغة العربية مثل الخطابة والإلقاء والمسرح والتمثيل ومسابقات القراءة وجماعات الشعر والأدب وتحسين الخط.

ج – عزوف الطلاب عن حصص القراءة وإهمال المعلمين لها، والسبب أن القراءة بالصورة التى تقدم بها الموضوعات التى تضمها الكتب لا تثير اهتمام الطلاب، ولا تتحدى تفكيرهم، ولا تقدم لهم جديداً ، وما ينطبق على القراءة يمتد إلى النحو، حيث إن موضوعات النحو وتطبيقاتها فى حاجة إلى إعادة نظر فهى لا تناسب مستوى التلاميذ.

د – افتقاد اللغة العربية إلى مداخل جديدة فى تدريسها وطرق حديثة فاعلة لتعليمها؛ مما يجعل الحصة حصة استمتاع باللغة استماعاً وتحدثاً وقراءة وكتابة، وإبداع وتذوق.

هـ – التقويم فى مجال اللغة العربية قاصر، فالتقويم الذى يتم فى حجرة الدراسة يقوم على أساس أن ما يدرسه الطلاب عن اللغة هو معلومات وليس اللغة نفسها؛ فهو لا يقيس مقدار نمو الطلاب فى استعمال اللغة وإتقان مهاراتها بشكل وظيفى.

وبعد أن رصدت الورقة البحثية الحالية واقع تعليم اللغة العربية، والمشكلات والمعوقات التى تواجهها، يمكن تقديم بعض المقترحات والحلول للنهوض بمستوى تعليم اللغة العربية فيما يلى:

ثالثاً : مقترحات وحلول للنهوض بمستوى تعليم اللغة العربية:

إن تعليم اللغة العربية يحتاج إلى تطوير مناهجها، وطرائق تدريسها ، وتضافر الجهود وتكاملها من أجل الارتقاء بالمستوى اللغوى للتلاميذ. فلم تعد الاجتهادات الشخصية والجهود الفردية فى تدريس اللغة العربية تكفى لتحقيق أهدافها؛ حيث يقوم تدريسها على أصول وقواعد، ويتطور وفقاً لنتائج البحوث والدراسات العلمية التى أثبتت فاعلية كثير من الاستراتيجيات الحديثة فى تعليم اللغة وتعلمها [٣٥].

وبناءً على ما سبق ترى الورقة البحثية الحالية أن هناك حلولاً ومقترحات يمكن من خلالها الارتقاء بمستوى تعليم اللغة وتعلمها، هى:

١ – **<u>التخطيط اللغوى</u>:** وهو تخطيط يتم عادة عن طريق حكومة أو وكالة حكومية بخصوص تحديد طرائق نشر استخدام اللغة، وإصلاح هجائها، وإضافة كلمات جديدة إليها، والقضايا اللغوية الأخرى. وعن طريق التخطيط اللغوى فإن سياسة لغوية توضع بشكل رسمى وتنفذ.

ويمكن أن ينطلق التخطيط اللغوى من:

- رصد واقع اللغة العربية فى المجتمع.
- ضرورة الالتزام بلغة واضحة ومفهومه " العربية الفصيحة الصحيحة ".

- حتمية الحفاظ على مستوى شفهى وكتابى جيد فى المدارس وفى المؤسسات الرسمية، دون التهاون فيه.
- تحديد دور الأكاديميات والمجامع اللغوية فى الحفاظ على معايير اللغة السليمة.
- تأثير وسائل الإعلام على الاستعمال اللغوى: اللغة القومية الرسمية.
- جدوى تعليم اللغة وتعلمها بأساليب عصرية، محببة للأطفال.
- تحديث لغة التفاعل الثقافى والحوار الحضارى.

٢- **انتقاء معلم اللغة العربية:** إذ يجب أن تكون هناك معايير محددة لاختيار معلم اللغة العربية، فعليه يقع عبء كبير فى تعليم أبنائنا.

٣- **إعداد معلم اللغة العربية:** فمن الضرورى إعداد معلم اللغة العربية إعداداً جيداً ، بحيث يتم ذلك عن طريق الإعداد التتابعى (فى الكليات المتخصصة ثم يدرس بعد المرحلة الجامعية دراسات تربوية تؤهله مهنياً).

٤- **الكتاب المدرسى:** من أهم الجوانب التى يجب أن يتوجه إليها الإصلاح والعلاج، لأن نجاح التعليم فى غرس عادة القراءة لدى المتعلمين، من شأنه أن يقوى لغتهم ، ويعالج ضعفهم اللغوى.

٥- **طرائق التدريس:** إن استخدام الأساليب والطرق الحديثة فى تدريس مادة اللغة العربية يؤدى إلى النهوض بمستوى تعليمها وتعلمها لدى الطلاب.

٦- **الوسائل التعليمية:** حيث يمكن الاستعانة فى تعليم اللغة العربية بالوسائل التعليمية الحديثة مثل الكمبيوتر والشرائح المصورة والفيديو، وغيرها، إذ لابد أن نستفيد من مخترعات العصر فى هذا المجال، ونساير التطور العالمى فى وسائل التعليم والتعلم.

٧- **التركيز على تكوين الملكة اللغوية:** ويتحقق هذا بالابتعاد عن تلقين القواعد، فقط دون التمرس باللغة، فلو حرصت المناهج على جعل الطلاب قادرين على الكتابة السليمة،

والقراءة الصحيحة، والتعبير القويم، وانتقلنا فى حياتنا التعليمية التطبيقية من مرحلة الأهداف المكتوبة إلى الالتزام العملى بالكتاب الذى يترجم المنهج ترجمة صادقة، والمعلم الذى يلتزم بالفصحى التزاماً واعياً، والطالب الذى يحب لغته حباً أميناً، ويبذل الكثير فى سبيل تعلمها بالفهم البصير، والخلق السليم، والعقل الأديب، والتقدير الصحيح. لو تم ذلك لتحقق لنا تقدم يسهم فى تكوين جزء من الصورة المشرفة التى نرجوها لواقع لغتنا العربية.

المراجع والهوامش

---

(١) على أحمد مدكور: مؤتمر : " التعليم باللغة العربية فى مجتمع المعرفة " فى الفترة من ٢٨-٣٠ جمادى الأول ١٤٢٦ هـ الموافق ٥- ٧ يوليو ٢٠٠٥ م، معهد الدراسات التربوية، جامعة القاهرة، ص٨٩.

(٢) على أحمد مدكور: التعليم العالى فى الوطن العربى الطريق إلى المستقبل، القاهرة، دار الفكر العربى، ٢٠٠٠، ص٨٥.

(٣) نجلاء محمد حامد: التعليم واللغة العربية فى مجتمع المعرفة التحديات والفرص، المؤتمر الدولى الرابع: " التعليم باللغة العربية فى مجتمع المعرفة "، مرجع سابق، ص٢٦١.

(٤) عبد العزيز بن إبراهيم العصيلى: أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ ، ص٥.

(٥) إيمان أحمد محمد هريدى وآخرون: لغة الطفل وتنميتها فى البحث العلمى " دراسة مسحية تحليلية " تقديم يسرى الجمل، الطبعة الأولى، القاهرة، حقوق الطبع محفوظة، دار العين للنشر، المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ، ص١٩.

(6) Sandy Cutshall : Riding the wave, The Language Educator, Published by ACTFI, April 2007 Volume 2, Issue 3.

(٧) جوستاف. أ. فون جرونيباوم: حضارة الإسلام، ترجمة عبد العزيز توفيق، الأعمال الفكرية، مكتبة الأسرة، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٧، ص٥٧.

(٨) مؤتمر: " لغة الطفل العربى فى عصر العولمة " ١٧- ١٩ فبراير ٢٠٠٧، بمقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، (وثائق المؤتمر)، حقوق الطبع محفوظة، المجلس العربى للتنمية والطفولة، ص١٩.

(٩) محمد وجيه الصاوى: دراسة ميدانية للعوامل المؤدية إلى ضعف طلاب الجامعة فى اللغة العربية (من وجهة نظر الطلاب)، وقائع ندوة " مشكلات اللغة العربية فى المرحلة الجامعية " فى الفترة من ٢٤-٢٦ ديسمبر ١٩٨٩، كلية الإنسانيات، جامعة قطر، ١٩٩٢، ص١٧٧.

(١٠) انظر كلاً من:

- رشدى أحمد طعيمة: الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية إعدادها، تطويرها، تقويمها، القاهرة، دار الفكر العربى، ٢٠٠٤، ص٥٩.
- عواد جاسم محمد التميمى، وباقر جواد محمد الزجاجى: واقع تعليم اللغة العربية فى المرحلة الابتدائية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ٢٠٠٤.

(١١) انظر:

- أوراق عمل ندوة: التعليم باللغات الأجنبية فى مصر ما له وما عليه، وزارة البحث العلمى، أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا، مايو ٢٠٠٧م.
- تحديات اللغة والثقافة فى مواجهة العولمة، المؤتمر الدولى الثالث لكلية الألسن، جامعة المنيا، مركز سوزان مبارك للفنون والآداب بجامعة المنيا، ٣ - ٥ أبريل ٢٠٠٦.
- التعليم باللغات الأجنبية فى العالم العربى، مؤتمر علم اللغة الدولى الثالث، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ١٤- ١٥ فبراير ٢٠٠٦م.
- المؤتمر العلمى الرابع: القراءة وتنمية التفكير، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، جامعة عين شمس، يوليو، ٢٠٠٤.
- رشدى أحمد طعيمة: أدب الأطفال فى المرحلة الابتدائية، النظرية والتطبيق، القاهرة، دار الفكر العربى، ٢٠٠١.

(١٣) محمد عبد القادر حمزة: ضعف الطلاب الجامعيين فى اللغة العربية أسبابه وعلاجه، وقائع ندوة مشكلات اللغة العربية فى المرحلة الجامعية، مرجع سابق، ص١٣٧.

(١٤) محمود فهمى حجازى: اللغة العربية بين اللغات المعاصرة " الندوة العربية الألمانية لبحث قضايا تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها "، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مارس ١٩٧٨.

(١٥) ملفات (سلسلة توثيقية) : تعليم اللغة العربية لأبناء العرب المهاجرين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد ١، تونس، ٢٠٠٢.

(١٦) حسن شحاته: أفكار تنويرية لتعليم اللغة العربية، مؤتمر: " التعليم باللغة العربية فى مجتمع المعرفة "، مرجع سابق، ص٢٤٧.

(١٧) عبد الوهاب محمد مسعود: اللغة والإبداع، ندوة الإبداع والتعليم العام ٩-١٢ أبريل ١٩٨٩، القاهرة، المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية، ١٩٩١، ص١٣٩.

(١٨) نجلاء محمد حامد: التعليم واللغة العربية فى مجتمع المعرفة "التحديات والفرص"، مرجع سابق، ص٢٦٥.

(١٩) نبيل على: الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافى العربى، عالم المعرفة، العدد ٢٧٦، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠١، ص٢٦٩.

(٢٠) على أحمد مدكور: التعليم العالى فى الوطن العربى، مرجع سابق، ص٥٤.

(٢١) رشدى أحمد طعيمة: الاتصال اللغوى فى مجتمع المعرفة، مؤتمر: " التعليم باللغة العربية فى مجتمع المعرفة "، مرجع سابق، ص١٩٤.

(٢٢) محمد عبد الغفار حمزة: ضعف الطلاب الجامعيين فى اللغة العربية أسبابه وعلاجه، مرجع سابق، ص١٤٤.

(٢٣) سهيل أحمد عبيدات: إعداد المعلمين وتنميتهم، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٧، ص١٨.

(٢٤) محمد عبد الغفار حمزة: ضعف الطلاب الجامعيين فى اللغة العربية أسبابه وعلاجه، مرجع سابق ص١٤٦.

(٢٥) رشدى أحمد طعيمة: الاتصال اللغوى فى مجتمع المعرفة، مؤتمر: " التعليم باللغة العربية فى مجتمع المعرفة "، مرجع سابق، ص١٧٠.

(٢٦) شكرى فيصل: قضايا اللغة المعاصرة، المجلة العربية للدراسات اللغوية، العدد الأول، أغسطس، ١٩٨٣، ص٢٠.

(٢٧) رشدى أحمد طعيمة: الاتصال اللغوى فى عصر المعرفة، مؤتمر " التعليم باللغة العربية فى مجتمع المعرفة "، مرجع سابق، ص١٧٠.

(٢٨) مصطفى الشليح: الثنائية اللغوية فى المجتمعات العربية، مؤتمر: " لغة الطفل العربى فى عصر العولمة "، مرجع سابق، ص٧٠.

(٢٩) ليلى كرم الدين: تعليم اللغات الأجنبية للأطفال العرب وأثره على إتقانهم للغة العربية، مؤتمر: " لغة الطفل العربى فى عصر العولمة " ، مرجع سابق، ص ص ١٣٩ – ١٤٠.

(٣٠) ليلى كرم الدين: المرجع السابق، ص١٤٠.

(٣١) مؤتمر وزراء التربية التعليم الخامس: " التربية المبكرة للطفل العربى وتحديات مجتمع المعرفة "، القاهرة، فى الفترة من ١٠–١١ سبتمبر، ٢٠٠٦.

(٣٢) محمد وجيه الصاوى: دراسة ميدانية للعوامل المؤدية إلى ضعف طلاب الجامعة فى اللغة العربية(من وجهة نظر الطلاب)، وقائع ندوة مشكلات اللغة العربية فى المرحلة الجامعية، مرجع سابق، ص١٦٠.

(٣٣) سليمان إبراهيم العسكرى: لغة الطفل العربى فى مهب لغات العولمة، مؤتمر: " لغة الطفل العربى فى عصر العولمة "، مرجع سابق، ص٥٦.

(٣٤) محمود كامل الناقة: تعليم اللغة العربية والتحديات الثقافية التى تواجه مناهجنا الدراسية، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٩٧، ص ص ٤٨-٤٩.

(٣٥) مصطفى عبدالعال أحمد: فاعلية مدخل تكامل تعليم اللغة العربية فى تنمية مهارات الإملاء لدى تلاميذ الصف الثانى الإعدادى، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠١.